

عندما تهتز المبادئ..!!



عمرسان عبداللطيف المشافي

في غياب الضمير تضيق الأمانة، ويتفشى الفساد وتذوب الهوية، ويُقفل العقل أبواب الخير.. يُخطئ من يزعم أن مجتمعاً في هذا الكون يخلو من مشاكل أو جرائم أو فساد.. وهذا يعني أن كل مجتمع فيه الكثير من الجرائم والانحرافات التي يقوم بها أفراد أساؤوا لأنفسهم وإلى من حولهم.. فالمعلم الذي يغذي طلابه بأفكار هدامة.. ويمدهم بمعلومات شاذة فيها التضليل والتشويه، إنما يسهم في انحراف الفكر، ودعم حملات الغزو الفكري التي تستهدف مجتمعاتنا.. والمعلم الذي يكرس جل وقته للدروس الخصوصية في إطار جشع مادي، إنما يسيء مهنة نبيلة تفرض على العاملين بها استشعار المسؤولية في حمل هذه الرسالة. وإذا كانت هذه هي حال بعض المعلمين، فما هي حال الأطباء الذين يتاجرون بالأعضاء البشرية.. فهذا طبيب يستأصل كلية مريض وهو تحت تأثير المخدر ثم يقوم ببيعها لمريض آخر.. وذاك طبيب ينسى مقصداً أو مشروطاً داخل جسم المريض بعد إجراء عملية جراحية.. وهناك آخر يشق بطن مريض لاستئصال الزائدة الدودية، لكنه يكتشف أن هذه الزائدة قد تم استئصالها منذ أمد بعيد...!! أليس في ذلك إساءة بالغة لمهنة الطب واستهتار غير مقبول بهذه المهنة الإنسانية المهمة؟! وإذا كانت هذه هي حال بعض الأطباء، فما هي حال بعض المهندسين المعماريين والمدنيين، الذين ائتمنوا على أرواح الناس.. هذا مهندس معماري يقوده الجشع المادي إلى التلاعب بكميات الحديد والإسمنت عند بناء عمارة سكنية، ثم تنهار على رؤوس من فيها ليقتضوا تحت الأنقاض، وذاك مهندس مدني لا يراعي الأصول الهندسية الصحيحة للبنية التحتية لهذا الشارع أو ذاك الجسر، أليس في ذلك إساءة للعمل الهندسي وإلحاق الضرر بالمجتمع؟ وما هي حال بعض رجال القانون العاملين في مجال المحاماة والدفاع عن حقوق الناس..؟ إن بعضهم يتقاضى المبالغ المالية لقلب الباطل حقاً.. وقلب الحق باطلاً.. أليس ذلك مدعاة لتشجيع الجريمة في ظل عدالة تاهت بفعل كثير من القوانين الوضعية؟. أما الصحفيون فليسوا بعيدين عن الانزلاق إلى هذه المتاهات وهم يؤدون الرسالة.. فبعض الصحفيين يضلون الطريق بقصد أو بغير قصد.. فهذا صحفي يقدم خبراً كاذباً يستهدف به «سبباً صحفياً»،.. وآخر يطرح للنقاش قضية بعيدة عن الواقع الاجتماعي..!! وهي أمور فيها الإساءة للنزاهة والموضوعية..!! وماذا يقال عن مقدمي البرامج المسموعة والمرئية وهم يستعرضون أنفسهم على حساب ضيوف يتحاورون معهم، فيسيئون بذلك إلى أنفسهم وإلى المشاهد، وإلى الوسيلة الإعلامية نفسها.. إن أحداً لا ينكر أن الغالبية العظمى من الفضائيات قد انزلت فأسهمت في نشر الرذيلة.. وزيادة حجم الانحراف.. فتركت بذلك آثاراً سلبية على كثير من فئات مجتمعاتنا. هذه نماذج بشرية ضلت الطريق، وما كان لها الإقدام على مثل هذه التجاوزات لولا غياب الوازع الديني الرادع لارتكاب مثل هذه المخالفات التي تمثل قتلًا للضمائر والمشاعر وتشويهاً للمبادئ والقيم النبيلة.